

الأبنية الاسمية في اللغة العربية
دراسة تطبيقية في شعر الشاعر الليبي عبد المجيد قاسم الطرشاني
"The Nominal Phrase in Arabic: A Practical Study of the Poetry of Libyan Poet Abdelmajid Qasim Al-Tarshani"

عبير طريل^{1*}، ايمان روباش²

¹جامعة المسيلة (الجزائر)، abirtrili150@gmail.com

²جامعة المسيلة (الجزائر)، imane.roubache@univ-msila.dz

تاريخ القبول: 2026/02/24

تاريخ الإستلام: 2025/07/31

ملخص:

الشاعر الليبي عبد المجيد قاسم الطرشاني، له لغة قوية وأسلوب فصيح، وقدرة واضحة على الملاءمة بين مختلف المعاني والأوزان الشعرية؛ ويتضح ذلك جلياً من خلال تركيب الجملة التي التزمت قواعد اللغة، فلم تخرج عن الأنماط اللغوية المألوفة إلا بما يضمن للعبارة التميز والإبداع. ويعتمد الشاعر على مختلف أساليب اللغة لتقوية المعنى وتمتين العبارة، كالاختيار بين الإيجاز والإطناب. فضلاً عن أن شعره تعجب بالظواهر اللغوية المختلفة التي تزيد التركيب تميزاً وصيانة، وتزيد المعنى قوة وجمالاً، كالتقديم في أقسام الجملة المختلفة، والحذف أيضاً، حيث يكتفي الشاعر في عدة مواضع بذكر الأهم وترك ما لا يهم، أو يترك المهم في بعض الأحيان، من أجل الإثارة ولفت انتباه المتلقي إلى ما حذف.

الكلمات المفتاحية: الأبنية الاسمية؛ اللغة العربية؛ عبد المجيد قاسم الطرشاني

Abstract:

The Libyan poet Abdelmajid Qassem Al-Tarshani possesses a powerful language, an eloquent style, and a clear ability to harmonize diverse meanings with various poetic meters. This is evident in his sentence structures, which adhere to the rules of the Arabic language and do not depart from familiar linguistic patterns except in ways that ensure distinction and creativity of expression. The poet employs a wide range of linguistic techniques to reinforce meaning and strengthen expression, such as the deliberate choice between conciseness and elaboration. Moreover, his poetic discourse demonstrates a marked engagement with diverse linguistic phenomena that enhance the distinctiveness and refinement of syntactic structure, while simultaneously intensifying meaning and aesthetic impact. Among these features are foregrounding in different components of the sentence and ellipsis, whereby the poet, in many instances, confines himself to mentioning what is most essential while omitting what is secondary; at other times, he even omits what is essential in order to create suspense and draw the reader's attention to what has been deliberately left unsaid.

Keywords: nominal structures; Arabic language; Abdelmajid Qassem Al-Tarshani

١. مقدمة :

اعتاد القدماء في تعريفهم للجملة الاسمية بمصدرها، فهي التي تبدأ باسم، ولكن بعض الدارسين يشترط خلوها من الفعل تمامًا. ولا نكاد نعثر في اللغات الهندية والإيرانية والغربية على مثل هذه الجملة، لأنها تستخدم دائمًا فعلًا رابطًا بين جزئي المشابهة للجملة الاسمية السامية، وبدونه - في هذه اللغات - لا يمكن تشكيل جملة صحيحة إسناديًا.¹

فاللغة الفرنسية، مثلاً، تحتاج إلى فعل الكينونة (le verbe être) لتشكيل جملة اسمية، ومثيلتها في اللغة الإنجليزية تحتاج إلى الفعل (to be)، وهو يُترجم في العربية إلى جملة اسمية نحو:

الفرنسية: Le crayon est rouge

الإنجليزية: The pen is red

العربية: القلم أحمر

والترجمة الحرفية لذلك هي: القلم يكون أحمر، لكن علاقة الإسناد في العربية لا تحتاج إلى لفظ بعينه للدلالة عليها، لأنها علاقة معنوية تقوم بين المبتدأ والخبر، في حين أن غيرها من اللغات تحتاج إلى ألفاظ خاصة لتبيين هذه العلاقة.

وبما أن الجملة الاسمية هي المبدوءة باسم، فإننا نفرق بينها وبين الجملة الفعلية بالمبتدأ؛ فالمبتدأ في الجملة الاسمية يكون اسمًا، أما ما بقي فهو جملة فعلية. فقولنا: اليوم عاد رمضان

عليا أكرم محمد، لا يعني أن الجملة قد تحولت من الفعلية إلى الاسمية، لأن الاسم الذي قد يسبق الفعل ليس ركنًا إسناديًا.

أما قولنا: المسافر عاد اليوم، محمد أكرم عليا

فينقلها إلى الاسمية باعتبار الأسماء التي تصدرها (المبتدأ).

والأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، وفي الخبر أن يكون نكرة، لأنك إذا قدمت حكمًا مألوفًا ومعروفًا لدى المخاطب، لن نجد فائدة في إعادة إبلاغه له، إلا إذا كان على سبيل التذكير. والأمر نفسه بالنسبة للمبتدأ، فهو في جملة محكوم عليه، ولا بد أن يكون المحكوم عليهم معروفًا، فإن لم يكن كذلك فما فائدة المخاطب أو السامع في معرفة الحكم، فالغرض من الإخبار إفادة المخاطب ما ليس عنده، وتنزله منزلة كفى يعلمك بذلك الخبر.

والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، فإن قلت: طالب قائم أو عالم أو مريض... وما ذلك من الأخبار، لم يكن في كلامك ما يفيد السامع، لأنه ليس من الغريب، وليس بالجديد أن يكون هناك طالب قائم أو عالم أو مريض في هذا الوجود ممن لا يعرفهم المخاطب، وليس هذا ما ينتظر السامع أن يسمعه، ولا أنت تنزله منزلة كفى العلم به.

فإذا اجتمع في الكلام معرفة ونكرة، كانت المعرفة مبتدأً والنكرة خبرًا، لأنك إذا ابتدأت بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت، فإنما ينتظر الذي لا يعلمه. فإذا قلت (قائم) أو (حكيم) فقد أعلمته بما تعلم ما لم يكن يعلم، وإذا قدمت وقلت (قائم عمرو) فقد قدمت نكرة لا يعرفها المخاطب، ولا فائدة له بتقديمها².

والحقيقة أن المعرفة والنكرة إنما تقاس بالنسبة للمخاطب، فما كان معروفاً عنده فهو معرفة، وما كان مذكوراً فهو نكرة. لذلك نجد النحاة يجيزون الابتداء بالنكرة في مواضع حصول الفائدة، وذلك ما عُول عليه المتقدمون، فمتى حصلت جاز لك أن تبدأ بالنكرة، بينما راح المتأخرون يعدون هذه المواضع ويخصونها لأن معرفتها غير متينة للجميع، فتتبعوها بين أكثر وأقل.³

وستتناول فيما يلي الأنماط المختلفة للجملة الاسمية، فيشير عبد المجيد قاسم الطرشاني إلى أنها ثلاثة أنماط:

1. المبتدأ + الخبر، الذي يشمل صوراً ثلاثة أيضاً، وهي: الصورة التي يكون خبرها مفرداً، أو جملة، أو شبه جملة، ولكل صورة أشكال محولة.

2. النمط الأخير: الجملة المسبوقه بـ "إن" أو إحدى أخواتها، ولكل نمط منهما صورة مختلفة أيضاً.⁴

النمط الأول: مبتدأ + خبر (مفرد)

وردت هذه الصورة في قوله في قصيدة مجازة (الوافر):

أنا المسجون دوماً في ظنوني وفي سفرٍ وترحالٍ مقيمٌ

والملاحظ على هذه الجملة الشعرية أن المبتدأ ضمير منفصل، والضمير كناية عن اسم معروف، وخاصة ضمائر الحضور: ضمائر المتكلم والمخاطب. والضمير، كما يرى بعض الدارسين، وسيلة استحدثتها العربية بعد مراحل من التطور ليقوم بوظيفة الربط، إضافةً إلى ما يقوم به من وظائف أخرى. ويرون أن اللغة العربية كانت تستخدم في مراحل متقدمة إعادة اللفظ بنفسه.⁵

إن الضمير الموجود في قوله (أنا) ليس بحاجة إلى ما يوضحه، لأن الضمير (أنا) هو ضمير المتكلم نفسه، ولا شيء أوضح بالنسبة له أكثر من نفسه، ولا شيء أعرف للمتلقى أكثر من المتكلم معه. فمن دون شك، لن نجد صعوبة في فهم وإدراك ضمير المتكلم، لأنه – كما تعلم – موجود مع ما يسمعه أو يراه.

والضمير (أنت) أيضاً واضح في غاية البروز، لأنه عائد على المخاطب، ولا يخاطب الشخص إلا إذا كان حاضراً، ولا شك في أن الحاضر معروف، لا يحتاج إلى ما يُعرّف به. وعلى الرغم مما تتصف به هذه الضمائر من الوضوح والبروز، إلا أن الاسم الظاهر أقوى منها وأبلغ في توصيل المعنى كما هو مقرر في العربية⁶

ورد المبتدأ ضميراً في قوله أيضاً⁷ (الكامل):

باتت شعوب الأرض من أنصاري... هل تستطيع حصارها وحصاري؟

أنا صوتُ غزة وابنها وضميرها... فحذارٍ من قهر الضمير، حذارٍ

أنا من فلسطين التي غافلتها... وعبثت بالأزهار والأشجار

لن تهنؤا فأنا هنا وبخزنتي... مفتاح دارك يعود لداري

أنا عدوُّ الأنبياء مسالمٌ... لكنني في الحرب كالإعصار

إن الخبر في هذه المقطوعة الشعرية نكرة، وهو الأصل فيه، أما المبتدأ فهو معرفة، لا يحتاج إلى ما يوضحه، ولا غرابة في ذلك، لأن الضمائر معرفة، فيعرف النحاة بها كالمعارف.

فالشاعر هنا يتحدث عن لسان ابن غزة، ويخبر بأنه صوتهما وابنها وضميرها ومفتاح دارها، ومسالم، ثم يصف هذه الأخبار المنكرة لتمييز (أنا) المتكلم الصائت، العاشق، المتمسك... عن أي (أنا) أخرى.

فالمبتدأ هنا هو ضمير متكلم، وهو أعرف المعارف كلها، وإمام إضاف لياء المتكلم، كما في قوله:

سَهَادٍ يَلِيلِي وَانْتِبَاهُ مَخَاطِرِي... بَدَالِيكُهُفًا بِأَمْلَازِ الْخَاطِرِي (الطويل)

فَعَقَلِي إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَقَدْ غَفَّتْ... عُيُونُ السَّهَارَى يَعْتَلِي جُنَحَ طَائِرِ

والمضاد معرفة أيضاً، وهو بحسب ما يُضَاف إليه، وقد أضيف في هذه الأبيات إلى ضمير المتكلم، فكان بهذه الإضافة من أعرف المعارف.

ولكن بعض النحاة يرفض أن تكون الضمائر معرفة، كإبراهيم أنيس، الذي يرى أن استعمالات اللغة تُبرهن على أنها لا تكاد تزيد وضوحاً عن غيره من الأسماء الأخرى. والتخصيص في مثال قولنا:

نحن المسلمون - نحن العرب

ليس إلا بياناً لهذا الضمير وتوضيحه عن طريق الاسم الظاهر الذي يليه، و** (نحن) في العبارات السابقة غير معرفة على من يعود، لكن ما بعده وضع أنهم المسلمون في العبارة الأولى، والعرب في العبارة الثانية.

وقد استدلل على عدم كون الضمير معرفة - إضافة - إلى التخصيص بأن النحاة أنفسهم مختلفون فيما بينهم قديماً في اعتبار الضمائر معرفة، وأنهم أنفسهم أيضاً الذين قرروا أن من أغراض استعمال الضمير في اللغة الرغبة في التعمية والإيهام.⁹

أما الخبر فهو معرفة، أي ما يضاف إلى القطعة الشعرية السابقة، وتمثل في جملة بليلى، إلا أن الأصل فيه أن يكون نكرة كما سبق ذكره. ولعل السبب في تعريفه رغبة الشاعر في تعريفه وتحديد الوجد والألم الذي حله، رغبةً في التعبير عن تذبذبه وعدم استقراره.

وقد يكون الخبر معرفة بإضافته إلى معرفة، كما في قوله: (الكامل)¹⁰

هذا هو السَّنَوْرُ، والنشادة شهادة

فوراءهم بعده اتباع

ويغلب على الخبر إذا تعرف أن يسبقه ضمير الشأن، حتى لا يُظن أنه نعت للمبتدأ، وأن الخبر آتٍ بعد هذا النعت، كما هو مجسد في بيت الشاعر: (هذا هو السَّنَوْرُ).¹¹

ومن النحاة من لا يعتبر الأصل في الخبر التذكير؛ فالمسند في رأيهم لا ينبغي أن يكون مجهولاً بالمعلوم كما المسند إليه، وإنما الذي ينبغي أن يكون كذلك هو انتساب ذلك المسند إليه.

أما إذا تعرف المبتدأ دون الخبر، جاز في تقدمه، وذلك كما في قوله: ¹² (البحر الكامل)

جُنْدٌ عَلَيْهِ تَمَالُؤًا فَاخْتَالُهُ

أَسَدًا وَقَدْ هَجَمْتُ عَلَيْهِ ضِبَاعُ

حيث قدّم الخبر (جند) على المبتدأ لأنه معرفة دونه، ولأن الشاعر لا يريد من قوله إلا أن يصف بسالة الجند وثباته وتمسّكه بأرضه ويخبر عنه، فقدّم الخبر لأنه صفة في المعنى، واهتمامه في هذا البيت بالصفة أكثر من الموصوف، ومثل هذا الأسلوب الشعري كثير عند الشاعر الليبي:

عبد المجيد قاسم الطرشاني، فقلّما يلتزم نظام الجملة العادي، لأنه دائماً بحاجة إلى ما يعبر عن معنى غير عادي.

ومثال الزيادة التي تضيف إلى المعنى التام معنى جديداً قول الشاعر: ¹³ (البسيط)

النَّاسُ صِنْفَانِ فِي الدُّنْيَا بِمَا وَسِعَتْ ... مِنْ عَهْدِ آدَمَ حَتَّى تَنْقُضِي أَبَدًا

فجملة (الناس صنفان) تامة مستوفية لشروط الإسناد، زيد عليها شبه الجملة الذي يحدّد مكان هذين الصنفين، أي أن هذه الزيادة لم تكن اعتباطاً، وإنما من أجل أن يقيّد الخبر بمكان معيّن من خلالها.

ومن أشكال هذه الصورة الجملة التي يُحذف أحد ركنيها: مبتدأ أو خبر، ومن أمثلة ذلك قوله: ¹⁴ (البسيط)

مَدَحٌ لِأَحْمَدَ مَنْ فِي شَخْصِهِ جُمِعَتْ ... خَيْرُ السَّجَايَا بِنَحْوِ جَدٍّ مَنْسَجِمٍ

مَدَحٌ بِحَقِّ لِمَنْ زَانَتْ شَمَائِلُهُ ... وَالْقَوْلُ إِنِّي أَحْتَوِيهِ الْحَقُّ يَسْتَقِمُ

مَدَحٌ بِأَحْرِفِ أَهْلِ الضَّادِ أَنْظَمَهُ ... نَظْمًا كَحَبِّ بَعْقَدِ الدَّرِّ مَنْتَظِمِ

هَمَزٌ.. أَصْلِي عَلَى مَنْ جَلَّ مُرْسَلُهُ ... مَا دَامَ يَسْرِي بِقَلْبِي بِالْحَيَاةِ

دمي. ففي الجمل الشعرية المذكورة أنفًا نجد المبتدأ محذوفاً في قوله: (مدح)، (همز)، فهي إخبار حُذف مبتدؤها للعلم به، وهو الضمير المنفصل (أنا).

ضمير الشأن:

وفي قوله: ¹⁵ (البسيط)

هي الأيامُ تَبْذُرُنَا وَتَأْتِي ... لِتَجْمَعُنَا كَمَا جُمِعَ الْحَصِيدُ

يبتدئ الشاعر بضمير الشأن الذي لا يُخبر عنه إلا بجملة تفسّره، وهو ضمير غير شخصي، فلا يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب، وإنما على معنى الشأن، وبنية هذا الظاهر تختص بأن الإشارة فيه إلى متأخر، وهذا ما يخالف به الضمير العادي الذي يشير ويفسّر ظاهراً متقدماً عليه، ويكون في هذا الظاهر المتقدم إزالة لما فيه من خفاء، بينما تنقطع صلة ضمير الشأن بما تقدم لفظياً، فلا تكون إلا صلة معنوية، حيث تكون الإشارة فيه إلى المعنى.

والجملة النواة في هذا القول: (هي الأيام تبذرنا)، والمبتدأ فيها ضمير الشأن (هو) الذي يشير إلى جملة بعده (الأيام تبذرنا) الواقعة خبراً له، ويتبع الشاعر جملة الخبر (الأيام تبذرنا) بجملة وصفية (وتأتي...) ليبين وظيفتها.

المبتدأ + الخبر (شبه جملة) (البسيط)¹⁶

شوقٌ إلى البيتِ الحرامِ ومائه ... ينتابني فأظَلُّ في رمضائه

يا عاذلي مهلاً! وكن لي معذراً! ... فالشوقُ في جسدي وفي أعضائه

بدأ عرض البيت في البيت الأول، وضرب البيت في البيتين الشعريين بنكرة لأنهما يحملان معنى التمني، ولأن الخبر فيه شبه جملة، ومتى كان المبتدأ محتملاً معنى التمني، والخبر شبه جملة، جاز الابتداء بالنكرة. فالشاعر في هذين البيتين يتمنى زيارة البيت الحرام، ولوعة الحنين في جسده وسائر أعضائه.

في الأسر تبدو كالهزير وهم بدوا ... مثلَ الأشياءِ وسائرِ الأنعامِ¹⁷ (الكامل)

وهذا شكل آخر من أشكال الجملة الاسمية التي يتقدم فيها الخبر؛ وتقديم الخبر على المبتدأ إنما يكون لغرض يتعلق بالمعنى كال تخصيص مثلاً أو الاهتمام¹⁸.

ويرى الكوفيون أن تقديم الخبر على المبتدأ غير جائز أصلاً، سواء كان مفرداً أو جملة، ولأي غرض من الأغراض، فهو مما يلتزم رتبة التأخير في التركيب¹⁹. والصواب أن الخبر مما يمكن أن يغيّر رتبته إذ لم يكن لذلك مانع، فيتقدم على مبتدئه مما يسمح بالتعبير عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة.

يغيّر رتبته إذ لم يكن لذلك مانع، فيتقدم على مبتدئه مما يسمح بالتعبير عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة، فالعربية تمنح المتكلم مساحة واسعة للتعبير عن أفكاره، إذ تأخذ الفكرة الواحدة عنده عدة أشكال مختلفة من التراكيب، ويبقى المعنى واحداً مع هذه العبارات المختلفة، لأن التركيب لم يغيّر بالشكل الذي يمس المعنى العام، وإنما بشكل يجعل فكرة ما أقوى – لدى السامع – من غيرها من العبارات الأخرى.

أي أن الجمل المختلفة في ترتيب أركانها تختلف فيما بينها اختلافاً صغيراً أو كبيراً، لكنها تبقى مشتركة في معناها العام، فكل تعبير في الجملة بالتقديم أو التأخير يوّلّد معنى جديداً من حيث العناية بالمقدّم مثلاً، ويُعبّر عن ذلك بأن المتغير – في جملة غير نظام الرتبة فيها – ليس المعنى وإنما هي الدلالة، باعتبار أن المعنى هو الفكرة العامة التي تحكم العبارة، والدلالة هي ما تختص به عبارة من دون العبارات الأخرى المماثلة لها في الكلمات، والمختلفة عنها في الترتيب أو التركيب²⁰.

ومهما يكن من أمر فإن النظام النحوي هو المسؤول أمام اللغة على إبراز معنى واحد تفيد به الجملة، فيجعل الارتباط بين مكوناتها وثيقاً، ولا يمنح الشاعر الحرية إلا بالقدر الذي لا يسيء للمعنى، وإلا تصدعت الجملة واختل معناها.

فالتقديم الذي في قوله: (في الأسر تبدو كالهزير) لم يغيّر المعنى الذي تحمله تغييراً جذرياً، وإنما غيّر بحيث أصبحت وصمة البطولة في الأسر لصيقة به، وكأن الشاعر يهيمه أن يبلغ أن الأسير رغم أسره، من خلاله، أن أسره بطولة من أجل قضيته العادلة.

ونجد ذلك في قوله: (الوافر)

ولم أرزق حلولَ ثراكِ يومًا ... عبورًا والعبورُ إليك رزقٌ²¹

بكِ الماضي عبقًا قد تجلّى ... ينادي دون صوتٍ يا دمشقُ

فقد تقدم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ: (إليك)، (بك)، للاختصاص في البيت الأول (رزق) في قوله (إليك رزق) بالمخاطب دون غيره، والاختصاص أيضًا في قوله (بك الماضي) بها وحدها (أي دمشق). فمن قال إن التقديم أو التأخير لا يكونان لغرض ما فقد وهم، لأن التغير الشكلي للجملة يؤدي إلى تغيير المضمون فيها، ولو كان ذلك بزيادة حرف واحد على التركيب الأصلي، وهذا واضح جلي في الشواهد التي تقدم ذكرها.

والزيادة عنصر من عناصر التحويل – إضافة إلى التقديم – تؤدي دورًا رئيسيًا في تحديد الدلالة المقصودة من الجملة، فما الزيادة في اللفظ إلا زيادة في المعنى.

ومثال الزيادة التي لا يُستغنى عنها في الكلام قوله:²²

شاشاتنا ومراسلوننا بينهم ... حتى تشنّف سمعنا الأنباء

فالجملة اسمية، المبتدأ فيها (شاشاتنا) والخبر (بينهم)، لكن المعنى غير تام بالخبر وحده إلا إذا أُلحق بالجملة قوله (حتى تشنّف سمعنا الأنباء)، فهو متمم يؤدي الاستغناء عنه إلى بتر المعنى وتركه ناقصًا لا يحسن السكوت عليه.

أما الزيادة التي يمكن الاستغناء عنها، وما زيادتها إلا حاجة إلى معنى لا يكون من دونها، ففي قوله²³: (الوافر)

سلامُ الودِّ من قلبٍ يرقُّ ... إلى الفيحاء مني مستحقُّ

سلامُ متيمِّها قد تمى ... وصلاً منك واللقيا أحقُّ

ففي هذه القطعة الشعرية نجد الجملة (سلام الود من قلب... متبوعة بمتمم متمثل في الفعل (يرق)، وتجريد الجملة منه لا يغير المعنى العام لها، لكنه يغيره عما قصد إليه الشاعر، وهو أن يبعث تحية إلى الفيحاء. ف(سلام) وخبره الجملة الفعلية، وما زيد من شبه الجملة (إلى الفيحاء) لم يكن من أجل الزيادة في ذاتها، وإنما من أجل إعطاء معنى ما كان ليكون: سلام (على الفيحاء).

كان وأخواتها + (المبتدأ + الخبر)

وردت هذه النواسخ في قوله:

قد كنتَ حرًّا ملكَ نفسك قبلَ ما ... تغدو أسيرًا لا يرى إفراجًا²⁴

وملكتَ عصمتها بشرعِ نبينا ... لتكونَ شمسَ نهارها وسراجًا

نلاحظ أن (كان) في هذين البيتين دخلت على الجملة الاسمية (الضمير أنت وحرًّا) زمن الماضي.

كما يمكن أن يكون مفيداً للتوكيد²⁵....

أما ما استعملت فيه (كان) على غير ما يجري استعماله من رفع للاسم ونصب للخبر، وذلك متى تختص به مع أخواتها، فتستعمل تامة مكتفية بمرفوعها، وناقصة فتنصب خبراً، وتامة فاستغنت بالاسم بعدها كالأفعال اللازمة، مع شروط لزومها مع الأفعال اللازمة.

(ليس)...

وليسَ لقومٍ إن غزا البومُ أرضهم ... من الموتِ دونَ الأرضِ في ساجِها عذرُ⁽²⁶⁾ (الوافر)

إلى الله نشكو ضعفنا في صلاتنا ... فليسَ لنا من دونه نهيٌ ولا أمرُ

و(ليس) فعل، معناه نفي الجملة في الحال، فإن قلنا: (وليس لقوم إن غزا) لم يستقم، ولهذا لم ينصرف فيكون فيه مستقبل، وهذا رأي الأكثرين. وبعضهم يقول بأنها نفي لمضمون الجملة عمومًا، حالًا أو مستقبلًا، فهي موضوعة لنفي الحال وتنفي غيره بالقرينة. وفي قول الشاعر نفت (ليس) مضمون الجملة في الحال.

ويرى بعض النحاة أنها لفظة مركبة من (لا) وهي أداة نفي، و(أيس) وهو فعل كينونة قديم، تخلف عن سائر أفعال الكينونة، وجمد مركبًا مع (لا) في النفي، وخصه الاستعمال بأسلوب خاص، وقد استعمل استعمال الأدوات، إذ إنه لا يدل إلا على ما تدل عليه (لا) النافية.

وتقديم أخبار (كان وأخواتها) جائز، إلا خبر (دام) باتفاق النحاة، وخبر (ليس) عند جمهور البصريين، إذ إنهم قاسوها على (عسى).... وإذا نُفي الفعل بـ(ما) جاز أن يتوسط الخبر بين أداة النفي والفعل المنفي مطلقًا، نحو: ما جالسًا كان محمد، إلا أن التقديم على (ما) ممتنع عند البصريين والفراء، وأجازه بقية الكوفيين، واختص المنع عند ابن كيسان (ت 299هـ) بغير (زال وأخواتها) لأن نفيها إيجاب، وعممه الفراء في حروف النفي²⁷.

ومهما يكن من أمر فإن العربية رتبًا محفوظة لا تتغير أبدًا، كجملة الصلة بعد الموصول، والفاعل بعد الفعل، وأخرى متغيرة حسب ما يستدعيه الأسلوب؛ فالترتبة مرونة تسمح بتقديم أو تأخير أحد أركان الجملة الرئيسية حسب متطلبات المقام، وكل تغيير فيما يؤدي حتمًا إلى تغيير في المعنى.

وهذه المرونة راجعة إلى اعتماد العربية قرينة الإعراب لبيان وظيفة الكلمة في الجملة، لذلك لم يكن لموقعها القدر الكبير من الأهمية في تحديد وظيفتها، كما هي الحال في اللغات الهندية الأوروبية التي يُقَيَّد مستعملوها بنظام واحد، والخروج عنه خطأ. إذ تمتاز العربية – مقارنة بهذه اللغات – بالحرية في التعبير عن المعنى الواحد بعدد الطرق، حتى إننا نجد الرتب المحفوظة في نظام الجملة العربية قليلة، في حين تكثر الرتب غير المحفوظة، وهذا ما أتاح لأبناء هذه اللغة إمكانات كثيرة ليتصرفوا في فنون التعبير تصرفًا واسعًا، ولا سيما الشعراء منهم والأدباء.

والشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني واحد من الذين استعملوا جوازات اللغة للتعبير عن مختلف الأفكار، فتراه يعتمد التقديم بشكل واسع، وذلك في قوله²⁸: (الكامل)

لقمانُ كان مؤدِّبًا وحكيماً ... خبرَ التجاربِ راحلاً ومُقيماً

تقدّم الاسم على الناسخ، ولم تُعد الجملة بهذا التقديم منسوخة، لأن المرفوع في (كان وأخواتها) كالفاعل الذي لا يجوز تقديمه على فعله، وإذا تقدّم لم يعد فاعلاً. وإنما جاز تقديم الخبر عليها لأنه كالمفعول، وتقديمه على فعله أو على الفاعل جائز ما لم يمنع ذلك مانع.

فالجملة (لقمان كان مؤدّباً) من الجمل الاسمية المركبة على شكل: مبتدأ + خبر، وما تقديم الاسم في هذه الجملة إلا للاهتمام بهذا المقدّم، ورغبة من الشاعر في التعبير عن قوة حرصه على التقيد بأخلاق لقمان وحكمته وتأديبه في قيامه وترحاله.

وعدول المتكلم عن الرتب المحفوظة التي تركها النحوي يمثل نوعاً من الخروج عن اللغة النفعية العادية إلى اللغة الإبداعية 29، التي لا ينتجها إلا قادر على الإبداع، متمكن من اللغة، عارف بأسرارها.

الهوامش:

- 1- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996، ص222.
- 2- ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت (د.ت)، 85/1، 86. ينظر: ابن مالك، التسهيل، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1976، ص142.
- 3- ابن هشام، المغني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999، 539/2. ينظر: شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص137، 138.
- 4- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (مجاراة)، ص1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 5- محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ط1، 1982، ص141، 142.
- 6- صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000، ص143.
- 7- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (لسان فتى غزة)، ص2 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 8- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (على العهد)، ص1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 9- إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1966، ص275.
- 10- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (السنوار)، ص1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 11- الرضي، شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، 109/1.
- 12- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (السنوار)، ص1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 13- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (الناس صنفان)، ص1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 14- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (هل لي من الوصل)، ص5 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».

- 15- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (عام مضى)، ص 1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 16- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (شوق إلى بيت الحرام)، ص 5 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 17- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (رسالة إلى أسير)، ص 4 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 18- صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، ط 1، 2000، 150/1. وينظر: أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، ط 1، 1984، ص 90.
- 19- الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة المصرية، بيروت، 1977، 44/1.
- 20- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 252.
- 21- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (سلام إلى دمشق)، ص 1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 22- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (جباليا)، ص 3 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 23- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (سلام إلى دمشق)، ص 1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 24- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (قد كنت حرًا)، ص 3 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 25- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، ط 3، 1980، 311/4.
- 26- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (حالة)، ص 1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 27- الزركشي، البرهان، ص 396. وينظر: ابن هشام، المغني، 323/1.
- 28- الشاعر عبد المجيد قاسم الطرشاني، (وصايا لقمان)، ص 1 من ديوانه الرقي «بوابة الشعراء».
- 29- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 248.